ملامح التجربة الإبداعية
عند بدر بدير

(دراسة موضوعية)

ثروت مكايد عبد الموجود

أصوات مُعاصرة

أسسها:
د. حسين عـــــلي محمد
أبريل ١٩٨٠

المراسلات: ديرب نجم ــ شرقيـــة ــ د. حسين علي محمد .

ملامح التجربة الإبداعية
عند بدر بدير
(دراسة موضوعية)

ثروت مكايد عبد الموجود

ياسادتى لمن أقدم العزاء ؟
والراحل العظيم ما خلف من أبناء
غير العبيد والخصيان والإمـــاء
فهل يجوز أن يقدم العزاء
لمثل هؤلاء ؟

بدر بدير

توطئـــه

لم يعد الشعر ديوان العرب

ولم يعد الشاعر مؤرخا لقبيلته أو أمته

يسجل تاريخها ، ويسطر أمجادها ، لتحفظه الأجيال ومن ثم تحتفظ القبيلة بقوامها ومعالمها ، فالإنسان حيوان له تاريخ .

نعم لم يعد الشعر تاريخا ، ولا الشاعر مؤرخا حيث قامت لحفظ التاريخ وتسجيل أخبار الدول والملوك معاهد وجامعات ، ومن ثم سقطت المهمة عن كاهل الشاعر .

ولم يعد أحد يطلب تاريخ الحوادث والأحداث من ديوان شاعر أو قصة قاص ، فالشعر والقصة فن بينما التاريخ علم ، وشتان ما بين الفنون والعلوم ...

وكم عجب كاتب هذه السطور ممن استشهد بحادثة في رواية فنية على شيء في أم رأسه يريد أن يقنع به الناس ،كمن استشهد بأحداث ألف ليلة وليلة " على لا معقولية تراثنا ،ثم يريد منا بعد هذا الخلط بين ما هو فن ، وما هو علم ، أن نصدقه ، ونرفع له القبعة .

كان الشعر إذن يؤدي دوراً لم يخلق له ، ن فلما وجد من يقوم عنه بأداء ذلك الدور ، تخلي عنه فرحاً طربا ، ليقوم بمهمته هو في الحياة ، ودوره هو الذى ينسجم مع طبيعته تلك التي تجعله يجوب أقطار النفس البشرية ويسجل آلامها وآمالها وأشواقها .

يسجل عالمها ،وما تحلم به من عوالم شتى ،مما يجعله بحق ديوانا للنفس البشرية ....

فالشعر ديوان النفس .وأنت حين تسمع لشاعر فإنما تبحر في عالمه ، وترى مدي ما يتمتع به من سحر وجمال وعمق وسعة ...ترى همومه وآماله وأحلامه وأشواقه ....

ترى مكنون نفسه،ونبضات روحه وعلى قدر ثقافة الشاعر وحدة وعيه ،يأتي عالمه ،فشجرة الحنظل لا تثمر غير حنظل .

والياسمين يفوح عطره ،وينتشر شذاه فى الآفاق .إنك قد تقرأ لشاعر ، قصيدة ،فتلعن صاحبها ،وتقذف بما قرأت في سلة مهملاتك وتقرأ لآخر ، فيضيق صدرك ، ويحتبس لسانك وتقرأ لثالث ، فيدخلك التيه ، فلا تدري أين أنت ! !

وتقرأ لرابع ، فيجعلك تسبح في عالم السحر والخيال والجمال ، ويبث فيك روحا وثابة فتعود من عالمه أوفر نشاطاً ، وأقدر علي مواصلة مشوار الحياة الشاق في عالم مضطرب يبحث عن ربان ماهر ، ليقود الإنسانية إلي شاطئ الأمان غير أن سعيه هذا يضيع سدي في وقت ركد فيه العقل المسلم ، وانسحب من تيار الحياة إلي كهف مظلم ، فياله من عالم باض فيه الضنك وأفرخ !

وما أحوجنا إلي شعر شاعر يأخذنا إلي عالمه الرحب ، فنري فيه ما يبعث فينا النشاط والحياة ، لنعيد إلي حياتنا الراكدة الهامدة الحياة مرة أخري .

ثروت مكايد

الفصل الأول

(الجانب الصوفي في شعر بدر بدير)

حين تلج عالم بدرٍ بدير الفني ، فعليك أنٍ تتطهر ، ولتخلع نعليك ، فسترد " أنهاراً من عسل " وستري " أنهاراً من لبنٍ لم يتغير طعمه " ، وستري " ما لا رأت الأعين " وستقابل " حوراً عينا " " النظرة في أعينها تسكر " لذا قلت لك حين تلج عالم بدر بدير الفني ، فعليك أن تتطهر ، ولتخلع نعليك .. .. ..

إنه عالم ممتد لا يمثل الموت فيه غير معبر قصير بين حياتين زاخرتين بالأعاجيب ، فحين ترجوه محبوبته ألا يتأخر ، يجيبها بأنه لا يملك أن يتأخر ، فهو مرتبط بها ارتباط النبض بالقلب بل أكثر، فان النبض إن تأخر ، توقف القلب وعطب ، أما عالمة هو فلا توقف فيه ولا عطب حتى " إن حان الحين " و " آن البين " فسيرجوِ ثمة ربه ، أن يلتقي بمحبوبته ، لأنه قطع على نفسه عهداً ألا يتأخر.. يقول شاعرنا :

" لا تتأخر

في كل صباح ترجوني " لا تتأخر "

يا ساحرتي

هل يملك موج في بحر يزخر

أن يتأخر ؟؟

أو يتواني يوما عن حضن الشطآن ؟؟ " [1]

عتاب رقيق إذ كيف تظن محبوبته أن يتأخر ، وما هو غير موج في بحرها الزاخر ، ما إن يلامس الشطآن حتى يعود إلى حضن البحر ، لأنه بعض منه ، لو خرج عنه تبخر ، وصار لا شئ ، لذا فإنه لن يتأخر .

وقد جرب الحياة قبلها حيث كان :

" كربيع لم تبسم فيه الأزهار

كهشيم شبت فيه ألسنة النار

كمساء طال سنينا يحلم بنهار

كالنهر إذا ركد الريح ولم يمرح فيه التيار " (٢)

إنه لا معني للربيع إن لم يكن فيه أزهار ، فالربيع صار ربيعاً بتفتح الأزهار ، وتجمل الطبيعة ، فإن يبست الأشجار ، وسقطت أوراقها ، ولم تبتسم زهرة للشمس ، فما نحن في فصل الربيع ، وكذا كان شاعرنا حيث لم تكن محبوبته في حياته .

كان هشيما جافا لم تنفخ فيه الروح ..

كان مساءً حزينا يغلفه الصمت وتنخره الرهبة والخوف .. كان نهراً راكد الماء غير أن تحولاً عظيما قد حدث في حياته ، فحولها إلى ربيع دائم :-

" وأتيت

فكنت ربيعي

زهري

صبحي

نهري المرح الدافق .. عمري .. نغمي .. عودي

والأوتار

ولذا لن أتأخر " (٣)

حتى الموت والانتقال إلى العالم الآخر ، لن يمنعه عنها ، فسيظل وفيا لها مخلصاً .

إنه كان وفيا في الدنيا التي تشوبها الشوائب ، فما بالك في الآخرة حيث لا كذب ثمة ولا خيانة :

" حتى إن حان الحين

وآن البين "

وحملت هذي الروح الوالهة إلى واد أخضر

وردت فيه أنهاراً من عسل

صفته يد القدرة

ورأت أنهاراً من لبن لم يتغير طعمه

ورأت أنهاراً جارية من خمر طاهرة اللذة

ورأت شطآنا تتزين بالزهر

ومن كل الألوان

ورأت مالا رأت الأعين

وشدا في موكبها طير أنغاماً لم تسمع من قبل

ولا خطرت في قلب بشر

ورأت أفقا يرتسم أمام العين

حسنا وجمالا ليس يقاربه منظر

والحور العين (النظرة في أعينها تسكر)

فستسجدُ روحي من حول العرش

وترجوا الله

الوهاب الحنان المنان الأكبر

أن يأتيها بك

أو يحملها لمقام أعلي

أنت به

حتى لا تخلف وعدا

في الدنيا كانت قطعته

بأن لا تتأخر " (٤)

إنه عالم ممتد فسيح لا تحده حدود ، وما الموت فيه
غير معبر قصير بين حياتين زاخرتين

(٢)

تمثل الدنيا في عالم بدير الفني بداية طريق ، لذا يجهد في جعلها خالصة لوجهه تعالي حتى إذا قابله هناك .. في الدار الآخرة ، عرفه، فاطمأن .. .. ..

ومن ثم يذكر نفسه بذنوبه ، ويبكي علي خطيئته ، ويرفع يديه إلى الله ، ليغفر له :-

" يا قابل التوب يا غفار خذ بيدي

كي لا يضل ظلام الدرب خطواتي

هذى ذنوبي علي الخدين تلطمني

فمن يخلصني من ذل لطماتي

وذاك قبحي في المرآة ألحظه

يا ذل نفسي إن لم تصف مرآتي [٥]

إن الدرب بغير هديك ، ظلمة كالحة ، يضرب فيه السائر علي غير هدي ، فيأخذه التيه ، وتتخطفه الأعداء ، ويصبح منبوذا في كون يسبح فيه الحصي بحمد الله ، كما تسبح الكواكب والنجوم بحمده حتى أبعاض الفاسق بحمد الله تسبح ، وتلعن صاحبها الذي خرج عن تلك المنظومة البديعة إلى الضنك الخانق ، والرَدَغَة القاتلة .. ..

ولا يتحمل شاعرنا العيش في مثل تلك الحالة الرذلة

النكده التي تطفح فيها الذنوب من داخل النفس، فتحيل الحياة إلى قبح محض ، لذا يصرخ متضرعاً :

" اغفر ذنوبي كلها لا تبق لي

ذنبا أعاقب فيه بالإحراق

قد جئت بابك بالذنـوب مكبلا

أبكـي علي نفسي ففك وثاقي

قد ضقت بالحمل الذي تدريه في

قلبي وأنت الحفظ أنت الواقي " [٦]

فالذنوب تعيقه عن مواصلة المشوار .. ..

تعيقه عن اللحاق بعالم الجمال الخالد في جنة الخلد

ذلك العالم الذي يشتاق إليه شاعرنا بل يحرقه الشوق إليه !!

" أطلق سـراحي أنطلق لك عابرا

بحـــر المحبة مركبي أشواقي " [٧]

(٣)

يظهر لنا شاعرنا جانبا من العطف الإلهي علي خلقه ورحمته بهم :

" أسعى إليك وأنت تسعي لي كما
أخبرتني شوقا الي مشتاق " (٨)

هنا يبتعد شاعرنا عن خرافات العقل الصوفي الذي غرق في مستنقع الحلول والاتحاد وهلم جرا من هاتيك الخرافات التي تبرز بجلاء مدي الخلط والوهم والحمق الذي أصاب ذلكم العقل في مقتل ..

فشاعرنا لا يجاوز طوره ، ولا يسبح مع الهوى الذي يضل ولا يهدى ، وانما يقف شاعرنا عند حده : كما أخبرتني " وهنا يتحرك شاعرنا علي ضوء من نور ربه ، بينما يتحرك الآخرون ممن يسيرون علي هدي خرافات العقل الصوفي ، جهة سراب يحسبه الظمآن ماء وما هو بماء .

بل ليته لا شئ ..
إنه الجحيم الذي لا يطيقه شاعرنا ، ولا يطيقه إنسان :
" أغرق فؤادي في بحار النور
حتى لا أري إلاك في أفاقي " (٩)
كي يَخْلُص عمله لله وحده
ومن ثم اتْرَعَ قلبه بالنور والحب .. ..
إنه هنا لا ينعزل في صومعته بل يتحرك في الحياة ، ويري
ما يقاسيه الناس من ألوان الألم والبؤس والشقاء ،
فيتعذب ويتمني لو يحول تلك الحياة البائسة الشقية

إلى جنة وارفة كيلا يتعذب أحد فيها :

" آه لو كنت قد أعرت فؤادي

شمس يوليو لما أصابت جبينا

ولو أني أعرته البدر ما غاب

ضياء له عن الساهرينا

ولو أنى منحت بعض شعورى

للأدلاء أصبحوا عاشقينا

ولو أن القفار ضمت بذوراً

من وفائي لأنبتت ياسمينا " (١٠)

إن شاعرنا يضنيه ويؤله أن يري الفقراء يتسولون في زمن ليس للفقراء فيه نصيب :

" آه لو كان في يدي فضل مال

ما طوي الموت جائعا مسكينا " (١١)

بل إنه ليئن علي أنين غيره ألما ومشاركة له إذ لا يملك غير هذا الحب الذي يزخر به قلبه عطفا وحنانا علي البائسين من كل لون :

" آه من لوعتي للوعة غيري

وأنيني لمن يئن أنينا

لغلام يسعى علي الأرض زحفا

فاقد العقل عاجزاً أن يبينا

يغمض الناس أعينا عنه خوفا

أن ترق النفوس أو أن تلينا

لفتاة هيفاء كالغصن ضلت

في طريق الهوى ضلالا مبينا

باعت النفس والنفيس رخيصا

فذوى غصنها وزاغت عيونا " [١٢]

وكما ذاب شاعرنا حسرة علي ما يراه من ذل وفقر وهوان ، واتباع للهوي ، يكتسح الناس في وطنه ، كذا ذاب حسرة علي ما يلاقيه الأخوة في فلسطين من ذل المستعمر الغاشم الذي استباح الأرض والعرض في غيبة الوعي العربي :

" آه من لوعتي للوعة قومي "

حين ذاقوا الهوان بفلسطينا

لرجال من يعرب مزقوها

وارتضوا ذلها من الغاصبينا

لشهيد يقبل الأرض عزا

أسلم الروح والدماء سخينا

آه من ذلتي لذلة قومي

يوم أحنوا هاما تهم صاغرينا " [١٣]

وتتسع دائرة الحب ، لتعم الإنسانية كلها :

" عشت بالحب للحب حتى

همت بالناس بالورى أجمعينا " [١٤]

إنه العطف علي الإنسان حيثما كان :

" يا حبيبي يا أيها الإنسان

أينما كنت واحتواك المكان

يا حبيبي يا أيها الإنسان

حين يقسو عليك هذا الزمان

حيثما كنت عاريا يتلوى
البرد فيك وترعش الأجفان
حيثما كنت حافيا تتشكي
قدماك الأسى ويعيا اللسان
حيثما كنت جائعاً تتشهي
كسرتين وتحلم الأسنان
أوعليلا لم تبق منه الليالي
غير رسم ناءت به السيقان
أو ذليلا ما بين قوم طغاة
كلهم ظالم لئيم جبان
أو غريبا قد أبعدتة الأماني
نسيته الأحباب والخلان
أو شريداً قد طاردته وحوش
فاغرات وكشرت غيلان
أو يتيما ولما تزل بعد طفلا
في بحار ما حدها شطآن
أو نقي الضمير بين أفاع
ملأتها السموم والأدران
أو شهيداً أهدى الحياة لشعب
داسه حاكم عم خوان
أو قتيلا بغير ذنب جناه
فبكته القبور والأكفان " [١٥]

فياله من عالم وسيع ..

وياله من قلب وسع الدنيا والناس حتى مع من يختلف معهم.

إنه يشفق عليهم ، ويصلهم ، ويزرع الحنان حول قلوبهم ، ليجذبهم إليه إلى نوره الذي يفيض من قلبه :

" وزرعت الحنان حول قلوب

قاسيات فأزهرت نسرينا " (١٦)

ويكتمل ذلك الجانب الصوفي المعتدل بمدح سيد الخلق صلي الله عليه وسلم إذ " مدحه مدح لمادحه "

" لا يحسن الشدو من في عقله بكم
وليـس يطرب لحن من به صمم
وليـس شعراً وإن زانته قافيـة
ما لم يرتلـه في مدح النبي فـم
واليـوم تاه علي أقرانه طربـا
وفرحـة وازدهي في كفي القلم
ألم يصر سـيد الأقلام حين غدا
يخط شـعرا كثغر الزهر يبتسم ؟
في مـدح من مدحه مدح لمادحه
ومن به تشرف الأخلاق والقيم " [١٧]

إنه لا وصول لرب العالمين عن طريق غير طريق النبي .. .. فحبه حب لله ، وطاعته طاعة لله :

" يا سيدي وحبيبي أنت ملتجئي
من كل نازلة تعدو وتقتحم " [١٨]

لذا لن يذبل زهر منه يقتبس ...

ولن تزوي أمة منه تقتبس ، إذ كيف يذبل ويزوي من ارتبط بحب الله ومصطفاة :-

" وكيف يذبل زهر منك مقتبس

وكيف ينضب نهر منك منقسم

وكيف يخبو ضياء أنت مصدره

وكيف يخمد حب فيك محتدم

بك الحياة ترقت في مدارجها

وشعشع النور وانجابت به الظلم " [١٩]

إنه لا حياة لنا بغير هذا النور ..

ولا حياة للبشرية كلها بغير هذا النور الذي منعناه بجهلنا وتخلفنا عن الدنيا ، ومن ثم سنحمل أوزاراً مع أوزارنا .. ..

وينبهنا شاعرنا إلي عمل هذا الدين العظيم في النفوس .. ..

إلى عمله في أرض جرداء ، ومكان قاحل لا حياة فيه ، وإنما صراع علي مرعي أو علي امرأة .. .. ..

لقد صنع الإسلام العظيم أمة شامخة سامقه بهرت الدنيا من لا شئ .

صنعهم بكتابه الخالد وبسنة نبية العظيم ، ففتحوا القلوب بذلك النور الباهر الذي أضاء للإنسان جنبات نفسه ، فبانت له كونا آخراً لا يقل روعة عن ذلك الكون الذي يراه ببصرة :-

" وأنجب العدل نصرا ساطعا وغدا

جيش الظلامة والإظلام ينهزم

وعم دنيا الورى عدل ومرحمة

للناس في العسر من إسلامهم رحم

وساء بالعدل دنيانا ونظمها

من لم يكونوا لصحراواتهم حكموا " [٢٠]

نعم .. فلم ينقض القرن الأول الهجري حتى كان الإسلام قد بلغ القسطنطينية علي يد " بسر بن أرطأة " ، وتمكن طارق ابن زياد " من الوصول الي الشاطئ الأسباني .. ،.

وفي عهد " عمر بن عبد العزيز " (رض) وصل الإسلام إلي جنوب فرنسا ، ومنها انتشر في أوربا .

فبأى شئ ساد العرب العالم ؟؟

لقد كانوا في جوف صحراء جرداء ، لا يسمع عنهم أحد ، فلما جاء الإسلام حولهم إلى عمالقة من نور ، تهتدي بهداهم الدنيا ..

وحين ركن المسلمون للدنيا ، واتبعوا أهواءهم ، تفرقوا وذلوا وهانوا :

" وجاء من بعدهم خلف تميل بهم
أهواؤهم ويميد الحكم والحكم
ألقوا بأرواحهم في حضن قاتلهم
كالذئب من رعبها تهوى له الغنم
ضاعوا فلم يبق من أمجادهم أثر
إلا سجل من الأوراق مزدحم
توقفوا وبقايا الخلق ساعية
وأحجموا وجميع الناس تقتحم " (٢١)

فلن تقوم لنا قائمة بغير هذا الدين القيم ..

ولن ترتفع راية للحق والعدل والحرية في دنيا الناس بغير هذا الدين القيم الذي ظهر في عالم الشاعر .. بدر بدير كعمود الرحي،

كما ظهر الجانب الصوفي المعتدل الذي لا يذهب بالإنسان في تيه الوهم والخرافة والأباطيل وإنما يأخذ بيد

الإنسان إلي دنيا الله ، فيقوي المرء بربه ويعز

مراجع الفصل الأول

١. ألوان من الحب .. سلسلة أصوات معاصرة .. العدد ٥٤ ط ١ من ص : ١٦
٢. (٢) المصدر السابق .. ص ١٨
(٣) السابق . ص ١٨ –
(٤) السابق ص ٢٠ – ٢٢
(٥) السابق ص : ٥٠
(٦) السابق ص : ٣٠
(٧) السابق ص : ٣٠
(٨) السابق ص : ٣٠
(٩) السابق ص : ٣١
(١٠) السابق ص : ٢
(١١) السابق . ص : ٣ – ٤
(١٢) السابق .. ص : ٣ – ٤
(١٣) السابق .. ص ٤ – ٥
(١٤) السابق . ص : ٦
(١٥) السابق .. ص : ٧ – ٩
(١٦) السابق .. ص : ١
(١٧) السابق .. ص : ٥٧
(١٨) السابق .. ص : ٥٩
(١٩) السابق .. ص : ٦٠
(٢٠) السابق .. ص : ٦١
(٢١) السابق .. ص : ٦٢ – ٦٣

الفصل الثاني

(الجانب السياسي في شعر بدر بدير)

[١]

حدثتك يا قارئي كيف يفيض قلب شاعرنا بالحب ..

حب الله الذي يراه مصدر الوجود وغاية السعي ..

وحب الوطن الذى يئن تحت سياط القهر والفقر والخنوع ..

وحب قومه الذين استبيحت أرضهم ، وانتهكت حرماتهم .. وحب الناس جميعا حيثما كانوا .ومن هذا المنبع الثر يبزغ .

الجانب السياسي في شعر بدر بدير ، فالحب ينبت الثورة .. .

الثورة على الظلم ، وعلى الواقع الرديء ، .. .

الثورة على القوى الغاشمة التي تنتهك الحرمات ، فالمحب يكربه أن يرى محبوبة في ضيق وضنك .. .. .

وأي ضيق ، وأي ضنك أكبر من الظلم !

من ظلم الإنسان .... .

من البطش به وقهره وسحله .

إنه سيد هذا العالم ..

هذا الكون خلق من أجله هو ، فإذا ذل الإنسان وهان ورأيت جروا صغيرا يتقلب على الحرير بينما لا يجد الإنسان غير الجمر مستقرا له ، فأي ظلم هذا وأي قهر !!

ويرصد شاعرنا هذا التحول الذي حدث فى كيان الأمة المسلمة .

إنه يرثيها ويترحم عليها ،فقد كانت عزيزة الجانب ،قوية السلطان :

"يا سادتي لمن أقدم العزاء ؟

والراحل العظيم ما خلف من أبناء

غير العبيد والخصيان والإماء

فهل يجوز أن يقدم العزاء

لمثل هؤلاء ؟" [1]

ياله من توبيخ ينضح ألما !

إنه يردد ناظريه فى الأنحاء فلا يرى غير عبيد ..

والعبد لا يملك نفسه ..

لا يملك أن يقول هذا الحرف الباهر " لا " ..

إنه أبدا يطيع وعينه في التراب ..

ومن ثم فلن يقيم أمة ،ولن يرعي كرامة ،ولن ينجب غير عبيد !

ويعود شاعرنا فيردد فى الأرجاء عينيه ،علـه يلمح أحـدا غـير العبيد غير أنه سرعان ما تقع عيناه على الخصيان المنتشرة .. والخصى أبتر ، لا أمل له فى الوجود ،ولا يملك ذرة من طموح ، وليس محط أنظار أحد من الناس .. ومع الخصيان تبدو النساء فى الصورة التى التقطتها عينا شاعرنا .

لعله كان يأمل ان يجد امرأة تقود فى زمن عز فيه الرجال ، وندرت الرجولة .

لكن . وا أسفاه لا توجد حتى النساء !

ما هن غير إماء .

يلعب برؤوسهن الشيطان ، كما يلهو طفل بكرة ، فحولها إلي أداة هدم بعد ان كانت تبنى أمة !

وزرع فى نفسها أن الرجل ما هو غير عدو لئيم ، وعليها أن تحاربه لتستخلص منه (حقها) ، وبذا تحول البيت المسلم إلي مسرح للعبث وساحة نزال .

ليس هذا وكفي وإنما بث في نفسها ان الحرية تعني العري .

وبقدر ما تظهر من جسدها ، ويكون نصيبها من الحرية فتعرت، وصارت مرعي للأنظار ، وجوارح الذكور إذا قد، مات الرجال في امتنا ولم يبق غير قطيع الذكران ...

والفرق جد شاسع بين الرجولة والذكورة ، فالذكر تحركه شهوته، والرجل تحركه قيمه .

على أن أخطر نتائج هذا العري أن شلت الغيرة في النفوس وكبلت ، وأصبح المرء حين ينظر إلي المرأة ، لا يعجب إن طالعة خنزير .

إن لم يكن في شكله ، ففي معناه ، فالشيء بمعناه ، والشكل جزء من الصورة لا غير ، ومن لا يغار على عرضه ، لا يغار – من باب أولى – على أرضه ، فاستبيحت الأرض دون مقاومة ، ودون أن ينبض عرق في جسد وذلك نتيجة الخنزرة التي أصابتنا .

وجاءت هذه الخنزرة نتيجة للغزو الثقافي ، وما يتلقاه العقل المسلم من الإعلام والتعليم من كون التقدم والتحضر يعني عرى المرأة - وأن الحجاب بدعة !

وكأن مشكلتنا الكبرى تكمن في حجاب المرأة ، فإن نحن طرحناه بعيدا ، وحرقناه ، تقدمنا ، وامتلكنا الدنيا .

وقد تنتج الخنزرة من الخوف من الاتهام بالظلامية والإرهاب وإرادة العودة إلى الوراء..

إلي عصور الحريم ! !

أيا عجبا ! !

لقد حاربت المرأة المسلمة في عهد رسولنا العظيم بحجابها وقاتلت ، واستشهدت في سبيل الله ..

وضمدت الجرحى ،وكانت فقيهة يشار إليها ، ولا يستنكف الرجال من أن يأخذوا العلم عنها في عهود المد الإسلامي والتقدم الذي

أذهل الدنيا ، فمن قال إن عودة الحجاب عودة بالمرأة إلي القفص !

لا .. لا أنهم لا يريدونها عفيفة طاهرة بل عاهرة ..

وبدلا من أن تعود إلي قيمها وعزها وشرفها ، تعود إلي البحر ..

إلي " المايوه " أو لا ترتديه ، فلا مبرر له ، لتكون أكثر تقدما ، ونكون نحن أكثر تحضرا ونبوغا !!

لقد تعرت المرأة يا سادتنا ، لكننا لم نتقدم !

لم نتقدم خطوة واحدة !

وفقد الذكور غيرتهم حتى إنك تجد الذكر يمشي ومن أمامه إمراته فى لباس البحر أو ما شئت من ألبسة لا تسر غير الشياطين ،ومع هذا لم نتقدم خطوة واحدة بل إننا نتأخر ، ويستعبدنا الخلق من كل طائفة وملة ، ويملون علينا أوامرهم ، ولا نملك إلا ان نطيع خوفا ورهبا .

فإذا حدثت القوم عن ربهم وخالقهم ، سخروا منك ، وقال قائلهم : أيش هذا الكلام ! أتريد أن نتأخر ونعود إلي الوراء !!

لذا لم يبق من نسائنا غير الإماء ، كما لم يبق من الرجال غير العبيد والخصيان ، ومن ثم تساءل شاعرنا :

" فهل يجوز أن يقدم العزاء

لمثل هؤلاء " (٢)

لا شك فى انه لا يجوز ، لأن أحدا منهم لا يشعر ، ولا يملك إرادته .

وفى مثل هذا الجو :

" تحولت أرانب الأمس الى ضباع

وبالغت فى فتكها جوارح الطيور والسباع

ولم تحرك ساكنا جحافل الأبقار والحمير

لأنها تعودت تحلب أو تذبح أو تباع " (٣)

هأنتذا في الغابة ..

ولم يبق فى الإنسان غير رسمه ..

ولك أن ترجع البصر كرتين ،لترى حقيقة ما أمامك ....

ثمة تحولات كثيرة حدثت ..

فأرانب الأمس صارت ضباعا .

والسباع وجوارح الطير ، زادت توحشا أما جحافل الحمير والأبقار فأسرعت تفر إلي حظائرها لكن هيهات هيهات أن تفر من بطش الوحوش والكواسر ..

إن الذئب إن لم يفترس فريسته يخرج عن ذئبيته ..فنحن لا نعيب الذئب لافتراسه بل نعجب عجبا لا ينتهي إن لم يفترس فريسته ..

وفى الأمم والشعوب ذئاب ونعاج ..

فترى الامم ذات القوة والبطش تندفع غريزة السيطرة والهيمنة إلى التهام الدول والشعوب المستضعفة جبلة فى النفوس ...

والقارىء لتاريخ الحضارات يرى ذلك الطبع الأصيل فيها ، فالحضارة إبان فتوتها تميل للتوسع ، والتهام الدول أو الحضارات البائدة حتى الحضارة الإسلامية هي الأخرى مالت إلي التوسع إبان فتوتها حتى وصلت إلى جنوب فرنسا وبلاد البلقان ...

غير أن اختلافا شاسعا بين الحضارة الإسلامية فى توسعها وأى حضارة أخرى ..

فالتوسع الإسلامي فتح لا يقهر الشعوب بل يحررها من القهر ، ويتلو عليها رسالة رب العالمين ثم هي — أى الشعوب – بعد هذا حرة فى قبول الدعوة أو رفضها والكفر بها دون أن يترتب على هذا الكفر ظلم ما ..

فلم يجبر أحد على دخول الإسلام بينما كان الدخول في النصرانية إبان محاكم التفتيش منجاة من القتل والتشريد...وحدث عن جرائم الصرب في البوسنة والهرسك "ولا حرج عليك ، فلم يكن ليخطر في بال الشيطان نفسه أن يتحول الإنسان إلي وحش مخيف دونه بمراحل وحوش الغابة ! !

وقد رصد شاعرنا هذا التحول في دنيا الناس ..

فدول أوربا وأمريكا التي لم يكن يعرفها أحد ، استأسدت بينما تحول الأسد إلى جرذان حقيرة تفر فزعة إلى جحورها ..

وقد رأيت كيف وزع العالم الإسلامي على دول أوربا بعد انحلال دولة الخلافة ....

وفي عصرنا هذا الرذل بعد أن تولت أمريكا قيادة العالم ، أرهبته، وفرخت نموذجها الثقافي كقبلة ، وعلي المعترض تحمل التبعات .

إن القوة بغير عدل دمار وهلاك

وكذا قوة أمريكا اليوم ، وأوربا بالأمس القريب ...قوة بلا خلق.

جيش دون عدل ..

هذا ولا شك يعني الدمار والهلاك دون أن تتحرك الأبقار والحمير ! !

لأنها اعتادت على الذبح والحلب ، وأن تباع ...

ومن يهن يسهل الهوان عليه ..

إن النفوس تعتاد الضعة والحطة كما تعتاد الغربان الخرابات وكما تعتاد الصراصير الظلمة ،لذا فهي تنفر من الضياء وتضيق بمن يذكرها بمنهج السماء الذي فيه عزتها وقوتها وتود لو أنها خنقته كيلا يتحدث أمامها بحديث السماء .

" لأنها تعودت تذبح أو تحلب أو تباع [٤]

[٢]

ماذا يحدث لو قام من جدثه صلاح الدين ؟

هبه قام فوجد القدس أسيرة ....

أسيرة إسرائيل "

دولة جمعت من " الشتات "

سينظر إلى وجوه العرب ...

لكنه لن يجد غير العبيد والخصيان والإماء

وسيسأل من ثم : أين العرب ؟

لكن شرطة السلطة ستقبض عليه بتهمة الإرهاب

وستضعه في- المعتقل ....

ولن يتحرك أحد لإنقاذه من جند السلطة وظلمة المعتقل .

لكن ..هبه هرب من معتقله ، وأراد أن يعبر منفذ رفح ، سيجد حرس إسرائيل ، وسيقومون بتفتيشه وضربه على قفاه ..

وسيركله جندي حقير لا يعرف قدره ..

لكن .هبه هرب ودخل الديار المصرية – مثلا – أو الأردنية أو ما شئت من بلاد العرب ، وأراد ان يجمع من حوله أنصارا ، لينقذ القدس ...

لكنه لم يجد بعد جهد في البحث جهيد غير العبيد والخصيان والإماء ليس هذا وكفي يا قارئي

لقد اتهم بجريمة نكراء ، وألقي فى السجن وحيدا بتهمة مناصرة شعب فلسطين ...

سيتهم بأنه فكر لحظة في إخوانه هناك فوق الضفة الأخرى و سيحكم عليه بالإعدام شنقا أو رميا بالرصاص ..

ولنبحر معا في قصيدة " رسالة إلى حماة القدس " لنرى بما ينصح شاعرنا ، صلاح الدين ؟؟ .

" يا أيها السـادة

بل يا أيها الأثداء و الأرداف والكروش

من أجل أن تحافظوا علي عروشكم

قد ذلت العروش

من أجل أن يحفظكم إلهكم

سجدتمو لبـوش

قروشكم عروشكم

جميعكم فشوش

يا أيها الذين أسلموا القدس إلى يهود

يا أيها الذين ضيعوا جميع ما قد خلف الجدود

يا أيها الذين أنجزوا جميع ما أرادوا

من كل شيء لا يمت للكرامة

طريقكم إذا رحلتم

أو عزمتم الإقامة

طريقكم ندامـة " (٥)

ينادى الشاعر علي السادة غير انه سرعان ما يتذكر أنه لا وجود للسادة ..

وإنماهم عبيد وخصيان وإماء ..

أثداء / إماء وأرداف / خصيان و كروش / عبيد "

لا وجود لغير هؤلاء !

فأحرار الرجال في القبور أو في السجون ، كي تحفظ العروش، فالنفوس الحرة الأبية تأبي أن تخضع للأذلاء ..

وترفض الخنوع للجبناء .. .

علي أن الطريق الآخر لحفظ العروش كما ينبهنا له شاعرنا

إنه ذل العروش ..

فلكي تحافظ علي مكانك ، فلا بد لك أن تذل ..

لابد أن تخضع ..

أن تطيع ..

ولكي تبعد ذلك الشعور عنك ، فعليك أن تبطش بشعبك ، ليحدث توازن بين خضوعك المهين و جبروتك الباطش بمن تقدر عليه .. .

إنك لا تجد جبارا في دنيا الناس إلا وهو ذليل في نفس الوقت..

وكلما زاد خنوعه و خضوعه ، زاد من جبروته علي من يقدر عليهم .. .

ثم يأتي من يقعون تحت جبروته ، ليذلوا الآخرين بمقدار ذلهم هم وهوانهم هم ، وهكذا دواليك حتى أنك تجد المجتمع العربي طبقات تذل كل طبقة ما تحتها بنفس القدر الذي تذل به حتى لا يبقي غير فرد واحد هو آخر ذليل ، فيصب سخطه وجبروته وبطشه على نفسه ،وبذا يتكون مجتمع الأذلاء ..

ولذا فـ" جميعكم فشوش " (٦)

لم يسلم أحد ..

وشاعرنا ينبههم إلي هذا ..

ليس رحمة بهم ، فهم لا يستحقون تلك الرحمة بل من أجل شعوبهم .

من أجل تلك المقدسات التي انتهكت .

كما ينبه الكل إلي تلك القنابل الموقوتة ..

القنابل الآدمية التي لا تعترف بقيمة ، ولا تؤمن بمبدأ ، قنابل من صنع السلطة التي حولت الناس إلى عبيد ..

إلى جياع ورعاع ..

والجائع المهان المذل لا شيء يخاف عليه ، ولا شئ يؤمن به لذا فسيحطم أى شيء يعترض طريقه ..

إن الطفل الذى يربي علي فصل الدين عن الحياة ..

والذى يفرغ من ثقافته ..

والذى لا يتجه لهدف ما ..

ذلك الطفل حين يشب سيصبح قنبلة ..

في وسعه أن يحكم أى شيء ، فلا رادع له من دين أو خلق أو أمل أو أى شيء ..

إن السلطة هنا تصنع أعداءها علي عينيها و بيديها ..

وتربيهم تربية خاصة خالية من القيم و القيمة .. .

و لك أن تنظر الي صبيان مدارسنا ، لترى إلي أى مصير أغبر يتجه هذا الوطن !!

" يا أيها الذين يطفئون ظمأ النفوس بالخمور

ويطفئون شهوة البطون بالظهور .. .

ويعشقون الشعر

إن شبب بالذكور

ويتركون القدس في أحزانه يمـور

عاقلكـم مخمــور

ناصحـكم مأجـور

زمانكـم يـدور

غـدا زمام أموركم

يبيت في يد الرعـاع

غـدا زمام أمركم

يبيت في يد الجيــاع ..

في يـد أهل الأرصـفة

غـدا تهب العاصــفة " [٧]

لكنها حين تهب لن تبقي ولن تذر

فقادة الثورة من الجياع الرعاع الذين لا يعرفون بناء – بل هـدما ، فليست في نفوسهم قيمة ، و لا يعيشون لأجل رسـالة ..

إنهم ثـاروا ، لأنهم بـلا قيمـة ، لـذا جـاءت ثـورتهم عاصفة .. فماذا تفعل يا صلاح الدين إن قمت من جدثك ، و رددت

ناظريك فيمن حولك ، فما رأيت غـير العبيـد / الكـروش ، و الإماء / الأثداء والخصيان / الأرداف ..

وهبـك أجهدت نفسـك بحثـا عـن رجـال ، فلـن تجـد غـير الرعاع والجياع .. .

وكل هؤلاء لا يصـلحون :

" يا سـيد القـادة

يا صـلاح الدين

إذا أردت أن تهـب

كي تنقذ سمعة المدينة

وتستعيد مجدها حطين

لا نستعن بواحد منهم

فجيشك العظـيم

لن يضم نفعيين نهازين .. خوافين

اختر رجالا

لا يهمهم ملك و لا مال و لا بنون

ليسو علي الدنيا بمنكبين

ولا علي بطونهم بمنكبين

اختر رجالا يا صلاح الدين مؤمنين

ويعرفون أن العمر مهما طال منته

وأن لحظة عزيزة

أغلي من السنين " (٨)

هل يرجع صلاح الدين إلي قبره قانعا بالسلامة من بطش المتجبرين في الأرض بغير الحق ؟

أم تراه يقود الجياع والرعاع في ثورة عارمة ، ليقضي علي هاتيك العروش ؟ ..

لكن ماذا بعد الثورة ؟

سيملك الجياع الرعاع السلطة ، و سيحتاج الأمر إلي ثورة أخرى تقضي علي الجياع الرعاع ..

وهكذا كل ثورة تحتاج إلى ثورة دون أن تغير شيء في واقع الحياة !

إنه ليس أحمق ممن يريد ثمرة شجرة لم تنبت بذرتها بعد !

وليس أحمق ممن يتفق مع الدهان والسباك قبل بناء البيت ووضع الأساس .. ذلك منطق العقل الذي لا يقبل غيره ، وكذا من يريد استبدال نظام بنظام دون أن ينجع هذا النظام من الأمة ذاتها .

من تربتها دون اعتساف أو تعجل ..

وبعد فالتغيير في الإسلام ثمرة تغير النفس من حال إلي حال..

و لا يمكن أن يتمتع المجتمع المسلم بنظام إسلامي دون قاعدة .. تتشرب الإسلام و تؤمن به و تحيا من أجله ، و يرى الحق صدقها في طلبه ، فيعطيها الله الحكم فضلا منه و نعمة ..

[٣]

و ساعة يعطيها الحكم ، فلن تغتر به و لن تختال بل ستعمل علي نشر الدعوة وإعلاء كلمة الحق و العمل علي سيادة العدل و الحرية في الدنيا كلها .. .

يرصد شاعرنا في هذا الجو الردعاء ، ظاهرتين هما ثمرة الضعف و الخنوع من جهة ، وانحراف الفكر من جهة أخرى ..

والظاهرتان يشغلهما الشكل .. والشكل فقط .

الظاهرة الأولي تمثلها قصيدة " يا لها من قمة !!!! " التي يقول فيها :

يا باكي الشدو ما صوتي بملتاع
رغم الأنين و لا قلبي بمرتاع
فقد تعودت طعم الحزن من زمن
وصاحبتني تباريحي و أوجاعي
منذ انكفأنا علي أعقابنا فغدت
جموعنا اليوم أتباعا لأتباع
منذ انقسمنا شظايا كل واحدة
لها كبير قصير الفكر والباع
كل يمثل دورا قد أعد له
بكل حذق وإتقان وإبداع
فتارة هو متبوع لحكمته
وتارة تابع ذلا لأتباع

وتـارة أسـد في الزأر ليس له

ند وفأر هزيـل إن دعا الداعي

حثالـة من هباء ليس يجمعهـا

إلا تفـرق أهداف و أطمـاع

إذا ادلهمت خطوب حولهم جمعوا

كبارهم قمة لكن علي القـاع" (٩)

فجمع الشمل شئ نـنادي بـه ، لكنهـم حين يجتمعون ، فإنمـا هـو اجتماع شكلي لا قيمة له ..

فلا يغير اجتماعهم من شيء ..

لا يرفع ظلما عن مظلوم وإنما ثرثرة فارغة بل تمثيلية هزلية :

" كل يمثل دوراً اعد له

بكل حذق وإتقان وإبداع " (١٠)

ويغوص شاعرنا إلي الحقيقة التي حدثناك عنها من قبل .

" فتـارة هو متبوع لحكمـته

وتـارة تابع ذلاً لأتبـــاع

وتـارة أسد في الزأر ليس لـه

ند وفأر هزيل إن دعا الداعي " (١١)

فكل فرد تابع ومتبوع في آن واحد ..

فهو تابع ذليل مهان لما يمليـه عليـه الغـرب ، ولـما تمليـه سـيدة العالم أمريكان ، وهو فى نفس الوقت متبوع من شعبه ، فكل مـا ينطـق بـه الحكمة المقطرة المصفاة ..

وما يسكت عنه فمحرم على خلق الله الحديث فيه والخوض حتى يعوض ذله وهوانه في ساحة الآخرين لذا جاء وصف شاعرنا لهم صدقا كل الصدق :

" حثالة من هباء ليس يجمعها

إلا تفرق أهداف وأطماع " (١٢)

أما الظاهرة الثانية التى تعتني بالشكل والشكل فقط

فتملثها قصيدة " ضمير عاتب " حيث يقول شاعرنا :

" في زمان نطلق اللحية فيه

مثلما كان الجدود العظماء يطلقون

واكتفينا بلحانا

ووقفنا خارج التاريخ نلهو

وسوانا

يصنع الأحداث صنعا

وانشغلنا

بجلابيب خفيفة

تبرز الأرداف كالنسوان

لا أدري لماذا

يا بني يعرب للأثداء والأرداف

صرتم تبرزون ؟

وأضعتم عمركم في ثرثرات وأحاديث هزيلة

وأنا أبكي على الأم العليلة

التي كم دللتكم

ففسد تم .. .. وانقسمتم

وأنا كم أسعدتني .. هدهدتني
ليتها قد وأدتكم
ليتها قد وأدتني " (١٣)

فالتدين الشكلي يثمر الجمود والتخلف ، وما هكذا فقه الدين الذي هو فقه الحياة حيث يدفع المسلم إلى آفاق بعيدة ، ويجعله صانع حياة وليس عقبة فيها ..

لقد وقف المسلمون عند عصور خلت بينما يجري الزمن جارفا من أمامه النائمين .

إن صناع التاريخ لا ينامون ، ولا يتحجرون ..

إنهم في شغل دائم دائب وحيوية دافقة وأخذ بالأسباب ، ومن ثم يملكون ناصية التقدم والعمران ..

ناصية هذا العالم في حين يلقي التاريخ في مزبلته أمثالنا فمن دخلوا الكهف المظلم والنفق العطن ، وظنوا أن طول اللحي ونصاعة الثوب هما كل الإيمان وما عليهم إن تقدم الناس وهم رقود .. ..

إن الإسلام يقظة في العقل ، وطهارة في الشعور ، وسمو في الخلق..

إنه العزة بالحق والغيرة عليه ..

عزة تدفع إلى الأخذ بالأسباب .. أسباب الحضارة حتى نقف مع غيرنا موقف الند للند إن لم نسبق نحن ، ونتقدم نحن ، لأننا الأولى بالسبق والنهوض ، أما أن نقف خارج التاريخ " وسوانا يصنع الأحداث صنعا " فلا نتيجة لهذا غير الهوان ..

الهوان الذي نشاهده
" هذي سراييفنا والصرب تلعق من
دماء أحرارها وأهالها واها

هذى فلسطيننا صهيون عربد في

جراحها وتشفى من ضحاياها

حتى المصلين لم تحقن دماؤهمو

وهم سجود أمام– لله أجراها " (١٤)

فهل تفيـق ؟

أم ترانا نظل غارقين في ثرثرة عقيمة لا مخـرج منهـا إلا أن يشـاء الله ، ويشاء أحرار الناس إن كان لهم وجود ! ! !

[٤]

يسخر شاعرنا في قصيدة " استعطاف " من زعماء العرب الذين لا يبصرون غير مقاعدهم ، لذا لا يتحركون .. ..

فقط يهرفون بكلام يشبه كلام الصبية الصغار ، وقد عرفت الجارة الحسناء هذا ، فهي لا تعيره التفاتا ..

وليس من قبيل المصادفة أن يكون ضرب إسرائيل لقري فلسطين بالمدافع والصواريخ عشية اجتماعات (القمم) العربية استهزاءً منها وسخرية .. ..

إسرائيل تعلم جيداً أن الديكتاتورية لا تصنع أمة حرة أبية ، وإنما تقوم علي أكتاف العبيد ..

والعبيد لا شغل لهم سوى الخدمة .. إنهم خدم وليسوا جنوداً ومن ثم استطالت هي ، ،أخذت مكانتها حتي أنها في وقت الناس هذا تعد رابع قوة عالية في مجال العسكرية ناهيك عن طاقاتها العلمية الجبارة ، ومن عجب لا نري (نحن) هذا فيها بل نري ظلمها لنا..

قلت من قبل : إن الذئب لا يلام إن هو التهم فريسته ، وقضي عليها بل إنه يخرج عن ذئبيته إن لم يفعل هذا .

وما تفعله إسرائيل لا يثير غير قصار النظر ممن يرون القشة فى أعين غيرهم ولا يشعرون بالخشبة فى أعينهم هم ، فلم تقف إسرائيل عند حد مع وجود الداعي للتوسع ...

لتوسعها هي .. .

داع من نفسها حيث القوة والمنهج ، وداع منا نحن حيث الضعف والخور والتشرذم والهوان ...

يقول شاعرنا :

" ياجارتى الحسناء رغم أنوف كل الحاقدين

المنكرين لرقة الوجه الملون

والقوام العبل والردف السمين

الناظرين فقط لقبضتك القوية

أو لساعدك الطويلة فوق بنيان متين

لاتغضبي منهم

ولا تتميزي غيظا إذا همسوا بأنك أنت ظالمة ." [١٥]

فلا ينكر شاعرنا رقة الوجه الملون والقوام العبل والردف السمين

نعم .. هي سخرية من إسرائيل لكنها الحقيقة الساطعة رغم سخرية شاعرنا وسخرية الساخرين

هي الحقيقة وإن لم يعترف بها أحد إذ فى وسع كناس فى إسرائيل أن يقاضي رئيس الوزراء أمام المحاكم ، فيوقفه القضاء ويحكم على رئيس الوزراء أن رآه جانب الصواب وأخطأ بينما لا يقدر أعلم الناس فينا أن يأخذ حقه من جندي صغير او خفير لا يفك الخط !!

تلك هي حقيقتنا وحقيقتهم رغم سخرية شاعرنا بدر بدير ورغم أنوف الحاقدين.

ولا تقل : أين ديمقراطيتهم وتفوقهم وهم يبطشون ويسفكون وينتهكون فى أرض القدس المباركة !!

لا تقل هذا فما هو شائع فى مجتمع الأسد لا يتعداه إلي مجتمع الجرذان أو الخرفان .... ومعاملة الأسد للأسد غير معاملة الآسد لجرذ حقير أو أرنب مذعور...

وإن لم نعترف بهذا ، فلن نتقدم خطوة واحدة ، وسنظل نردد بأن القوم أبناء قردة وخنازير وهم يتقدمون ونحن فى التراب .

فليكن القوم أبناء قردة أو حتي شياطين المهم أنهم اليوم من عليه القوم ..

وأن ديمقراطيتهم مثار إعجاب الدنيا .. ..

وأن تفوقهم العملي دليل علي رقيهم وعقليتهم الجبارة ..

كما أن لهم ولاء لدينهم وقومهم بينما يستخفي (الواحد) منا ولا يكاد يبين إذا ذكر بأنه عربي مسلم !!

إن القوم في إسرائيل يفخرون بعبريتهم بينما نسخر نحن من لغتنا الحية العبقرية ، وما حديث " الشوباشي " عنا ببعيد !!

إن القوم يفخرون بتراثهم بينما ينادي غرباننا بتطليق التراث وهجر الوراء !

وهم - اى غرباننا - حين يذكرون التراث فإنما يقصدون الإسلام أما إن كان هذا التراث فرعونيا فاهلا به وسهلا ....

وإن كان إسلامياً فهو الظلام والعودة إلي الكهوف والجمال والحمير!!

نعم .. يقولون هذا مما يؤكد حمقهم ، فالتراث جهد بشرى يؤخذ منه ويترك ، ولنا أن نفخر بتراثنا لأنه من العظمة بحيث يفخر به المنتسب إليه لكن الغربان لا تفرق بين الإسلام كوحي ، والتراث الإسلامي كجهد بشرى قام به أسلافنا العظماء حين تشربوا الوحي فسادوا وعزوا ..

ولما كان غربا تنا يبغضون الإسلام بغض اللص للشرطى ، أنكروا عمل الإسلام فى النفوس التى أنتجت هذا التراث العظيم ، فأصبحنا خواء لا يخافنا أحد ولا يحترمنا مخلوق :

" ما خاف كلب من مواء القط

أو خمدت جحيم إن تدفقت الدموع من العيون

ولو تقرحت الجفون

اخشي عليك إذا غضبت وقمت للفتك المؤزر

أن تغبر منك أردان معطرة

وأثواب مطرزة .

وأقدام مطهرة من التجديف فى برك الدماء

وأوجـــــه

شاهت لأطفال صغار طائشين

تخذوا الحجارة عدة ، ماذا تفيد حجارة في وجه

رشاش وقنبلة وصاروخ ؟ تفجر بالجحيم .

أخشى عليك

ولا أخاف عليهمو خطر النفاد والانقراض .

فإنهم رغم الفواجع يكثرون " (١٦)

يظهر المقطع السابق عزلة الشعب الفلسطيني الذي يقابـل الدبابـة بالحجارة والصاروخ بالصراخ بينما يقف الشعب العربي بعيـدا بحجـة أنه صراع إسرائيلي فلسطيني ، ليطمئن قلبه ، ويرتاح ضميره غير أنـه لا يدرى – وتلك مصيبة أنه بلا قلب ، ودون ضمير كما أنـه فقد عقلـه منذ زمن بعيد ! !

ويذكر شاعرنا لإسرائيل حقيقتنا

حقيقة جيرانها الحمقى.......

" جيرانك الحمقى نهارا يصرخون ويجأرون

لكنهم ليلا على كل الدروب يعربدون ويمرحون

يتناسلون

لذا فهم لا ينفـدون

ضرباتك العصماء تحصدهم وهم يتصايحون .

وكبارهم يتبخترون
ويأكلون ويشربون
نعم كبارهمو جميعا يشربون ! !
ويجلسون على الأرائك ينظرون
لكنهم لا يبصرون سوى مقاعدهم
عليها يحرصون
يتكلمون
ويهرفون فقط بما لا يفعلون
وأنت صامدة مثابرة
تنال ذراعها ما تشتهى
تبنى المعاقل والحصون
وتحقق الأحلام يقظى
والكبار على الأسرة يحلمون [١٧]
لذا يعود ليؤكد لها :
سوسو اطمئني واهدئي
حسادك الحمقى دعيهم يحسدون
بالأمس كانوا قادة الدنيا وساستها
وعمار القرون
لكنهم ضلوا ، ومات زمانهم
وتفرقوا في السفح
داستهم نعال الصاعدين إلي الذرا صبحا
وهم لا يشعرون !!!

من بعد عــز جارتي

رغمت أنوفهمـــــو

فرفقا إن صفعت

وإن بطشت فما ظلمت

وإنما هم أجمعون

كانوا لأنفسهم يظلمون " (١٨)

وهي هادئة مطمئنة فما أشبهنا بقبيلة تيم تلك التي يقضي الأمـر حين تغيب ، ولا يستأذنون وهم شـهود ، فحـق لسوسـو الاطمئنـان ما دمنا لم نبرح بعد طور الخرفان

مراجع الفصل الثاني

(١) السابق . ص : ١٢٩

(٢) الســابق . ص : ١٢٩

(٣) الســابق . ص : ١٣٠

(٤) السابق . ص : ١٣٠ .

(٥) الســابق . ص : ١٢٢- ١٢٣ .

(٦) الســابق . ص : ١٢٢

(٧) الســابق . ص : ١٢٣ - ١٢٤

(٨) السابق . ص : ١٢٦ - ١٢٧

(٩ - ١٠) السابق . ص ٧٩ - ٩٨

(١١ ، ١٢) السابق ص ٩٧ - ٩٨

(١٣) السابق .. ص : ١٦٦ - ١٦٧

(١٤) السابق .. ص : ٣٢

(١٥) السباق – ص ١٠٥

(١٦) الســابق . ص : ١٠٦ - ١٠٧

(١٧) السابق .. ص : ١٠٧ - ١٠٨

(١٨) السابق . ص : ١٠٨ - ١٠٩

الفصل الثالث

الجانب الوجداني فى شعر بدر بدير

[١]

كما انبثق الجانب السياسي من الحب الإلهي الذي يري الحياة منحة ربانية ونعمة أنعم بها الحق علي الإنسان ، لذا حرم علي الإنسان الظلم .. ..

حرم عليه أن يظلم نفسه إذ يعبد سوى الله ، فيلقي العذاب جزاء وفاقا ، أو يظلم غيرة من الأناسي أو من خلق الله كافة مما يدب علي أربع أو يزحف علي بطنه أو يطير بجناحيه في فضاء الكون الرحيب ..

إن معني الخلافة عن الله في أرضة لا تعني خلافته علي الإنس وكفي .. لا .. إنه قائم علي شئون الخلق طرا مما يقع في حد استطاعته ولذا قال الفاروق : لو عثرت بغلة في العراق لسئلت عنها : لِمْ لمْ تسولها الطريق ؟.

ولذا دخلت امرأة النار في هرة حبستها مع أن المرأة كانت تصوم وتصلي ، وتؤدي فرائض دينها لكنها تؤديها بآلية دون أن تفقه معني الدين الحنيف الذي من فرائضه أيضا رفع الأذى عن الطريق ..

والذي من سننه العظمى " تبسمك في وجه أخيك صدقة "

و " أحب لأخيك ما تحب لنفسك " .. .. الخ تلك السنن العظمي التي تنهض بالجماعة المسلمة لو فقهت دينها .. ومن هذا النبع انبثق الجانب الوجداني في شعر شاعرنا كما نبع الجانب السياسي سواء بسواء ، فما حرم الإسلام الحب ، وما كان قيدا علي الشاعر وإنما حررها من العبودية .. ..

من عبودية الشهوة الرخيصة التي تجعل صاحبها كالكلب ، وتجعل المرأة متاعاً رخيصا تثير في الذكر شهوته حتى إذا أدلي بدلوه ، بصقها في الطريق ..

إن المرأة في الإسلام كنز مصون لا سبيل إلى رؤية خفاياه إلا برباط مقدس .. ..

والفارق شاسع بين الكلأ المباح لكل راع ، والحديقة الغناء ذات الأسوار التي لا يد خلها غير العلية والسادة .. .. ..

وقد دخل شاعرنا حديقته ومن ثم له أن يتغني ويتغزل في محبوبته ما شاءت له طاقته الشعرية ، لأنه ساعة يتغزل ، لن يشبب، ولن يجرح فهي منه وهو منها :

" وغدوت حراً لا أدين لغير سوسنتى

بحب فهي نبع هنائي " (1)

بينما كانت غريزته ستجره إلى المهالك لو لم يتحرر بهذا الزواج الذي يشبع الغريزة والطاقة العاطفية دون ألم المعصية الذي يجهد قلب المؤمن ويشربه الحسرات تلو الحسرات .. ..

وسوسنته تلك تبادله حبا بحب ، ففي قصيدة " لا تتأخر " نري تلك اللهفة منها علي حبيبها الذي يؤكد لها أنه لا يستطيع أن يتأخر، ومع هذا تكررها عليه : لا تتأخر .. ..

في كل صباح ترجوني لا تتأخر

يا ساحرتي

هل يملك موج في بحر يزخر

أن يتأخر ؟؟

أو يتواني يوما عن حضن الشطآن ؟؟

أو يملك جفن أن يتأخر في الإطباق من العينين

علي الإنسان

أو تملك هذي الكرة الأرضية

أن تتأخر في الدوران ؟ ؟ ؟؟

أو يملك قلب العاشق
أن يرتاح من الخفقان ؟؟
أو يملك نسر أن يمتنع عن الطيران ؟؟
ياشاطئ موجى
يا إنسان العين
وياسر الجذب لأرضي
يا نبض القلب العاشق
لن أتأخر

** ** ** **

إن كنت تأخرت كثيرا عني قبل اللفيا الأولي
وأنا
كربيع لم تبسم فيه الأزهار
كهشيم شبت فيه ألسنة النار
كمساء طال سنيناً يحلم بنهار
كالنهر إذا ركد الريح ولم يمرح فيه التيار
وأتيت
فكنت ربيعي
زهري
صبحي
نهري المرح الدافق .. .. عمري .. نغمي .. عودى
والأوتار
ولذا لن أتأخر

المستقبل يزخر
بصنوف من عسل النحل
وأوقات كالزهر
وكالخمر الطاهر شهد سكر
سنحلق في أجواء السحر معا
سنحقق آمالا مازالت في قلبينا تكبر
وسنبني عشا في أغصان الدوحة
نمرح فيه أصيلا
وأطير قريبا منه .. .. .. بعيداً عنه
ولكني عند العودة لن أتأخر

****

حتي إن حان الحين
وآن البين
وحملت هذي الروح الوالهة إلي واد اخضر
وردت فيه أنهاراً من عسل
صفته يد القدرة
ورأت أنهاراً من لبن لم يتغير طعمه
ورأت أنهارا جارية من خمر طاهرة اللذة
ورأت شطآنا تتزين بالزهر
ومن كل الألوان
ورأت مالا رأت الأعين
وشدا في موكبها طير أنغاما لم تسمع من قبل

ولا خطرت في قلب بشر
ورأت أفقا يرتسم أمام العين
حسنا وجمالا ليس يقاربة منظر
والحور العين (النظرة في أعينها تسكر)
فستستجد روحي من حول العرش
وترجو الله
الوهاب الحنان المنان الأكبر
أن يأتيها بك
أو يحملها لمقام أعلي
أنت به
حتى لا تخلف وعدا
في الدنيا كانت قطعته
بأن لا تتأخر " [٢]

فنو لم تكن زوجته ، أكان يطلب من ربه أن يجعلها معه في جنة الخلد!

فالإسلام إذن لم يقمع عاطفة وإنما نقاها من الشوائب ، وطهرها من الدنس والرجس ، فجاءت مصفاة كالشهد ، فأية روعة تلك وأي جمال !!

" مهجة القلب أين وجه الحقيقة
زوجة أنت لي أم صديقة
أنت ما شاع في ضميري نور
كنت نبعاله وكنت بريقه
كلما داعب المنى لي خيالا

كنت أحلي المني وكنت طريقه
واذا عز في الصعوبات رأي
كنت عقلا موصلا للحقيقة
واذا ما طغي الهجير وزادت
قسوة القيظ واشتكينا حريقه
صرت روضا وصرت ظلا وزهرا
يعشق القلب لونه ورحيقه
وإذا بلبل الفؤاد تغني
فبعينيك نهره والحديقة
كل عام من قبل لقياك دهر
والتقينا فصار يومي دقيقة
في نهار الكفاح تشهد شمسى
في جواري علي طريقى رفيقة
وإذا طاب للمحبين ليل
شاهد البدر في فراش عشيقة " [٣]

هي بلا شك زوجة وصديقة .. ..

حبيبة وصديقة ، تصدقه النصح حتى يخرج من صعاب الحياة ، فإذا مرضت أو ظن أن البين قد آن ، بكي ، وفاض قلبه بأرق مشاعر العشق والهوى

" أرفيقتي لا تسرعي واستمتعي
يا نشوة الكأس الشهي المترع
يا أجمل اللوحات في عيني ويا

لحنا بهيج الوقع حلو المطلع
يا بهجة العمر السعيد إذا جرت
أيامه في سرعة لا تسرعي
نمشي الهويني في طريق الحب إن
تنثر حوالينا الأزاهر نجمع
ونهيم في وادي الحنان فإنه
أفقي وبستاني الجميل ومهجعي
لا تسرعي قبلي الخطا نحو الجنان
فلن تطيب قطوفها إلا معي
يا جنة الدنيا وأنس الروح في الأخرى
وعيني فيهما ومسامعي
ما زال عندي من فنون الحب با
قات أنديها بقلبي المبدع
ما زال في قلبي لكي احتضن الـ
كون وإياك ألوف الأذرع
مازلت أدعوك إلي نبع الهوى
وأنت لي احلي وأصفي منبع
ماذا بدنيانا سيبقي إن مضينا
وافترقنا غير نهر الأدمع
فلنغتنم صفو الأماني – إن صفت
قبل ارتحال عن ربانا مفجع
وإذا دنا يوم الرحيل عن الديار

وليس بد من فراق الأربع

فمعا نسير لجنة الرحمن نرتع

في الربا أكرم بها من مرتع

فهناك لا نصب ولا تعب سوى

جني الجني الحلو الحلال المتع

ما أجمل الدنيا ونحن بها معا

ما أروع الأخري وأنت بها معي " [٤]

إن حبه موصول لا يقطعه الموت ، وتبدو فلسفة شاعرنا في ضرورة عيش الحياة ما دمنا فيها واغتنام صفوها والتمتع به :-

" فلنغتنم صفو الأماني – إن صفت

قبل ارتحال عن ربانا مفجع "[٥]

من الناس من لم يعش لحظة واحدة في عمرة ، فهـو دائمـا يلـهث حتي يسقط صريعا ومن ثم ينبهنا شاعرنا إلي ضرورة الاستمتاع بالحياة ما دامت صفوا ، والصبر عليها إن أتت بما يسوء ..

وهو هنا يلفتنا إلى نعمة الحياة تلك التي أنعـم بهـا الله عـز وجـل علي خلقة فإن تركناهـا ، كنـا كطفـل أهـداه أبـوة هديـة ، فرماهـا ولم يستعملها ويستمتع بها ..

لا شك أنه طفل أحمق ..

وسيحزن فعله هذا والده ..

وهب أن تلك الهدية التي أعطاها الوالد لولده ، فرماها ،

وجدها غيره فاستمتع بها واستخدمها فيما ينفع ..

لا شك أن الوالد سيعجب بذلك الطفل الذي يستمتع

بهديته ويتمني لو كان ابنه علي شاكلته ..

وكذا حالنا مع دنيا الله التي وهبها لنا ، لكننا تركناها
جهلاً منا وغباءً وحمقاً ، فأخذها غيرنا واستمتعوا بها بينما
نحن رقود ، ينخر في عظامنا السوس ، ويدخل في أفواهنا الذباب! ! !

[٢]

وكما فاض قلب شاعرنا حبا لزوجه ، فاض حبا لاصدقائه وحدبا عليهم ومداعبة لهم .يقول شاعرنا مودعا صديقه الدكتور .حسين على محمد :

" أيها الساري على متن السحاب
حفظ الله سراكا ....ورعاكا
إن تكن فى وحشة تتركنا
عش مع البهجة والأنس هناكا
ثم عد يوما إلينا ....غانما
إننا نحيا على حلم .... لقاكا
وأقسم الأيام بالعدل على
كل من عاش على فضل نداكا .
إنني أغبط من جمعتهم .
فى رياض العلم يجنون جناكا .
لست أدرى فى حماهم تحتمي
أم همو يحيون فى ظل حماكا
لا تطل بعدك عن آفاقتا
كلما سافرت لا تنس أخاكا
بارك الله لياليك وأترع
أيامك حبا ووقاكا "

ويداعب شاعرنا صديقة الدكتور أمين فيصف عربتـه وصـفا رائعـا بديعا ، فيخلد تلك العربة المتهالكة كما خلد " ابن الرومي "

الخباز :

" تبت أقلعت عن ركوب المهالك

يا أمين وإن أكن فى جوارك

مركب صوتها زفير شخير

حشرجات فى صدرها المتهالك

أنَّ من زحفها الطريق وتاهت

خطوات لها هنا وهنالك

وكأن البنزين فى التنك خمر

دوخهتا على شعاب المسالك

فى يمين الطريق طورا وطورا

فى شمال وتارة بين ذلك

إن تقدها لبيت عم تجدها

بعد لأى قد أوصلتك لخالك

إن ترد دفع بابها تتأبى

ومع العنف لا ترق لحالك

تتهادي بالليل هرا مريضا

أحول العين فى الظلام الحالك

كالعجوز الشمطاء تبغي شريكا

ثم تأبي قبل الفراش المشارك

قلت لما تحدرت نحو جرف

نج يارب من خفي المهالك

صحت لما توقفت ونزلنا

نبدأ الجر يالهمي ويالك

حملتنا نصف الطريق ونصفا

قد دفعنا ومالنا من مشارك

آه من وطأة اللهاث وماء

وغبار كما غبار المعارك

يا أمين " اختشي " وقم فاشر أخرى

أو ترجل او عد لظهر حمارك " [٧]

قصيدة رائعة بل من أبدع ما كتب شاعرنا ، فالشعر ليس بموضوعه وإنما بقدرة الشاعر على بث روحه فى الموضوع ولو كان هذا الموضوع ذبابة او كلبا أو سيارة متهالكة كسيارة الدكتور " أمين " فبشار على تهتكه ومجنة أشعر من أبي العتاهية على زهده ..

ولك أن تعيد قرءاة القصيدة لترى ما تبثه فيك من روح المرح والمسرة بصورها البارعة حيث جعل البنزين خمرا ، أسكر العربة فجعلها تتخبط فى الطريق لا تدرى من أمرها شيئا مع قبح صوت وفساد في آن " زفير وشخير

وحشرجة تجعلها على أبواب المهالك..

قصيدة رائعة سنتناولها فنيا فى دراستي الفنية لشعر "بدر بدير" إن شاء الله جل جلاله ولا ينسي شاعرنا أن يودع أصدقاءه إلى مثواهم الأخير كما فى قصيدة " اهنأ بقرب الله " التي يرثي فيها صديقه فكرى فايد " قائلا :

" كالصبح فى فصل الربيع

عرفت بسمته الجميلة

مثل الندي في رقة

يحنو على زهر الخميلة

مثل الأصيل إذا صفا

كانت مواقفه الأصيلة

رجل وكم عزت بهذا الو

قت فى الدنيا الرجـولة

جملت به هذى الحيـاة

وقلما وجــدت مثيله

لكـــن أيام الفتي

فى هذه الدنيا قليلة " (٨)

روح واحـدة تنبـع مـن حـب الله الـذى يفجـر طاقـات الإنسـان ويوجـهها بحيث تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

الفصل الرابع

رؤية الشاعر للمشهد الثقافي الراهن

تبدو ؤية الشاعر للمشهد الثقافي الراهن جلية فى قصيدتين من قصائد ديوان " ألوان من الجب : عبث الغموض " وفى رده على الدكتور الشاعر " حسين على محمد " فشاعرنا يري الهذى والهزر الذى اجتاح حياتنا الثقافية فجعلها أشبه بالمسرحية الهزلية .

لا أحد في مكانه ....

ولا شك أن ما ينشر مما أثار شاعرنا ليس هو أفضل الموجود وإنما هو لأصحاب الخطوة ، وحملة المباخر ممن لا يملكون عقلا ولا فكرا ولا رؤية واضحة لحياتهم هم أنفسهم وليس للحياة بوجه عام ، لكنهم يملكون القدرة على الاختراق ....

اختراق الصفوف بالتملق والنفاق ....

ولا وقت لأمثال هؤلاء لتحقيق فكرة أو فهم معني يحتاج إلي طول دراسة ...

إنهم فى شغل دائم بالسير وراء أهل السطوة والسلطة ومن بيدهم مقاليد الأمور ، كي ينشر لهم كتاب هنا ، وآخر هناك حتى استولى الغربان على الساحة ، وأصبحنا لانجد غير الهذر والهذى فما ينتج الحمقي غير هراء !!!

إنك تقرأ لشاعر أو قاص هراء وعبثا يدغدغ به مشاعر المراهقين أو يناقض به هوية الأمة ، فنقول له : ما هذا الهراء !!

فيجيبك : هذه حداثة !!!

فتسأله : ما معنى الحداثة ؟ فلا يجيبك بشيء ، ويكفيه أن يكتب عن الأفخاذ والأثداء ، ليكون شاعر المرأة والحرية والشباب وهلم جرا من ألقاب ليس له منها نصيب !!!

يقول شاعرنا فى قصيدة " عبث الغموض "

أكاد من حيرتي أجنّ

الهذى شعر والهذر فن

رحماك يارب ألف عش

للنحل فى مسعمي يطن

***

يقال هذا ديوان شعر

لشاعر صوته أغنّ

حروفه أنهرُ بحارٌ

بكل بيت رؤي ولون

أطير من فرحتى إليه

تشدنى فكرة ولحن

يهيم بين السطور قلبي

وتسبق القلب فيه عين

لكنني بعد لأي

أعود والقلب فيه حزن

فلا بيان ولا خيال

ولا جمال له أحن

بحثت تهت دخت حتى

أكاد من حيرتي أجن " (١)

فإذا دعاه صديقه الشاعر الدكتور : حسين على محمد إلي التغريد والانطلاق ، رد شاعرنا بدر بدير على صديقه قائلا :

ماذا يفيد على الأيام تغــريد

والدوح أغربةٌ تحتله ســود

والروض مهجورة افنانه وعلى

ضفافه الضفدع المغرور والدود

لمن اغني وصوتي فى تفـرده

بين النقيق وبين النوح مفقـود

وجوقه الشعر فى أيامنا مسخت

أنغامه فقضي المزمار والعـود

وانفض سامره وانقض عامره

لم يبق إلا اسمه والجسم مهدود

لم يبق فى الروض أزهار وإن بقيت

فمالها أغصن والجذر موءود

ياصاح لولا وجودك فى دنياي ما جملت

فيها الأناشيد يوما والأغاريد "[٢]

فلم يبق إذن فى ساحتنا الثقافيـة غـير الغربـان والضـفدع والـدود غير أن الأمل يعود للظهور حين يطالع المرء شعرا ينضح حيـاة ، ويـري شاعرا يملك رؤية للحياة والإنسان والكون نقيه ..

رؤية لم يدنسـها الجـاه والهـوي ، لـذا فهـي تفـتح أمـام المطـالع لها ،عالما من النقاء والضياء الباهر ، فإذا به يسبح فى ملكوت المتعال ، ويدرك الفرق الشاسع بين ساكني السحاب وهاتيك النمال التـى تطـارده فى ساحتنا الثقافية العطنة غير أنه وقد أدرك الفرق ، يضحك مشفقا أو ساخرا من تطاول الذر رغم وجوده تحت النعال.

مراجع الفصل الرابع

(١) السابق . ص : ٢٦ - ٢٧

(٢) السابق . ص : ٨٠ - ٨١

خاتمـــة

ها قد عدت من رحلتـك فـى عـالم شـاعرنا " بـدر بـدير " وعلـى وجهـك بسـمة وفـى عينيـك عـبرة ، وكانـك تبكـي الإنسـانية الشـردة التائهـة عن طريق الحق ، وتنادي هلموا ، أدخلوا ذلـك العـالم الرحـب لكن ....قبل ان تلجوا عالم شاعرنا البدر اخلعوا نعـالكم ن وتطهـروا فستمرون ثمة على جنة عدن وربما طفتم من حول العرش..

ثروت مكايد

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٥/ ٧٠١٩